.. تهويد القدس والإفساد الإسرائيلي الأول

تحتل القدس مكانة هامة في الوجدان العربي والإسلامي ، فالمسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ، والرحال لا تشد إلا إلى ثلاث . . المسجد الحرام ، ومسجد الرسول بالمدينة ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، والقدس أرض مباركة هي وما حولها أي كل فلسطين : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

وهكذا فإن مصير القدس وما حولها أي كل فلسطين المحتلة أمر يخص كل العرب والمسلمين في كل مكان وزمان ، وبالتالي فليس من حق حكومة ما أو سلطة ما أو حتى جيل كامل ما أن يبت في مصير القدس أو يساوم على شيء منها ، فيفرط في حقوق لا يملكها وحده ، ولا يملكها حتى جيله بكامله بل تخص كل الأجيال القادمة . .

كانت القدس وفلسطين كلها محوراً للصراع الممتد في الزمان والمكان في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، وحول القدس دارت معارك وستدور للسيطرة عليها باعتبارها رمزاً لهذا الصراع وتجسيداً له . .

ومن الناحية التاريخية فإن القدس التي يقدر المؤرخون عمرها بحوالي خمسة

آلاف عام ، والتي أسسها اليبوسيون الذين نزحوا من الجزيرة العربية في الألف الثالث قبل الميلاد ، ثم تتابع على حكمها العرب والعبرانيين والكنعانيين والرومانيين ثم العرب المسلمين ، وفي الحقيقة فإن الزعم اليهودي بحقوقه في القدس أمر لا تسنده وقائع التاريخ ولا النص الديني أيضاً ، ذلك أن الحكم اليهودي للمدينة والذي استمر فقط حوالي ٧٠ عاماً في زمن نبي الله داود وابنه نبي الله سليمان عليهما السلام ، وبالطبع فإن اليهود الآن ليسوا هم ورثة داود وسلميان ، لأن المسلمين أولى بداود وسليمان من اليهود على أساس أن الإسلام هو الدين الخاتم ، وأنه لو بعث داود وسليمان عليهما السلام من قبرهما ، فلن يملكا إلا الدخول في الإسلام ، ولأن اليهود قد فقدوا الحق في وراثة أنبيائهم . . لأنهم انحرفوا عن الطريق وخانوا العهد وقتلوا الأنبياء فاستحقوا لعنة الله تعالى وغضبه عليهم ، كما أن يهود اليوم ليسوا أبناء يهود بني إسرائيل بل هم من يهود الخزر كما أثبت ذلك أكثر من باحث تاريخي موثق ومرموق ، ثم إذا حتى أسقطنا كل تلك الأسانيد – وهي هامة جداً – فما قيمة ٧٠ عاماً أمام آلاف الأعوام التي ظلت فيها القدس عربية ، سواء قبل ظهور الإسلام أو بعده أو على مستوى تأسيس المدينة ذاتها ، وتاريخ المدينة بعد فتحها في عهد عمر بن الخطاب الذي ذهب بنفسه لاستلام مفاتيحها ، وهذه حالة خاصة بالقدس تعبر عن أهميتها لأن عمر لم يذهب لاستلام أي مدينة مفتوحة غير القدس وكانت القدس في ذلك الوقت خربة فقام المسلمون بتعميرها ، وإعادة بناء بيت المقدس الذي كان مهدوماً في عهد عمر بن الخطاب وقد شهدت مدينة القدس اهتماماً مستمراً من المسلمين في مختلف الحقب ، فكانت بيعة الخليفة الأموي تتم في القدس كما اهتم الأمويون بتعمير المدينة وتشجيع حركة العلم بها وكذلك فعل العباسيون الذين تركوا آثاراً كثيرة في القدس يحاول اليهود طمسها الآن لتغيير هوية المدينة ، كما كان للفاطميين والسلاجقة والأيوبيين آثاراً هامة في المدينة ، وعندما سقطت القدس في أيدي الصليبيين لمدة مائة عام ، ثم أعاد صلاح الدين الأيوبي فتحها بذل جهوداً كبيرة لإعادة الطابع العربي الإسلامي للمدينة بعد أن حاول الصليبيون طمس هذا الطابع .

ثم جاءت الخلافة الإسلامية العثمانية فحكمت القدس ٤٠٠ سنة إلى أن سقطت

فلسطين تحت الانتداب البريطاني ١٩١٨ وبدأت المؤامرة لتسليم فلسطين إلى اليهود الصهاينة .

الصراع على القدس وفلسطين كلها ، صراع تدخل فيه العوامل السياسية مع العوامل الدينية والتاريخية ، وإذا كانت إسرائيل بالنسبة للغرب هي جزء من مشروع الهيمنة الغربي على المنطقة فإنها أيضاً بالنسبة لتفسير مسيحي معين (بروتستانتي) نوع من التمهيد لظهور المسيح المزعوم في نظرهم الذي سيقضي على إمبراطورية الشر (المسلمين) في معركة هرمجدون وهي بالنسبة لليهود تنفيذ للأسطورة المزعومة عن وعد إلهي لأجدادهم !

وهي بالنسبة للمسلمين أرض الإسراء – وأولى القبلتين وثالث الحرمين وحق طبيعي لأنهم هم مؤسسو المدينة ، وظلت المدينة جزءاً منهم وهم جزء منها لآلاف السنين ، بل وينظر المسلمون للصراع على أنه صراع حضاري ممتد في التاريخ والجغرافيا ، وأنه على أرض فلسطين سيحسم الصراع فإما إبادة الحضارة الإسلامية وإما فتحاً جديداً لعهد الإسلامية العالمية الثانية والقضاء على الاستكبار العالمي وإنهاء الظلم والنهب والقهر الذي مارسته وتمارسه الحضارة الغربية – أمريكا آخر صورها – على العالم .

ومن ناحية النص الديني الإسلامي ، فإن المسلمين متأكدون من أن النصر آت لا ريب فيه وفقاً للآية القرآنية: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء] .

ويميل المفسرون في مجملهم إلى أن الظهور الإسرائيلي الحالي في فلسطين هو تصديقاً للآيات الكريمة ، وهو يمثل الإفساد الثاني لبني إسرائيل وأن نهايتهم هي

الدمار كما تقرر الآيات ولكننا نعتقد – والله أعلم – أن هذا الإفساد والعلو الإسرائيلي هو الإفساد الأول لهم ، ولأننا لا يمكننا اعتبار علوهم أيام داود وسليمان إفساداً ، لأن داود وسليمان كانا يطبقان شرع الله – أي الإسلام الذي جاء به كل الأنبياء – وبالتالي فلم يحدث علو وإفساد معاً لبني إسرائيل إلا هذه المرة ، وبالتالي فهي الإفساد الأول ونهايته كما تقرر الآيات نهاية منكرة على يد عباد الله أي المسلمين بأسهم شديد على طريقة العمليات الاستشهادية وعلى كل حال فسواء كان هذا هو الإفساد الأول أو الثاني أو أي إفساد فنهايته محتومة والنصر لنا بإذن الله تعالى والآيات الكريمات تختتم بوعد مطلق بأنه في كل إفساد ستكون نهايته مفجعة إن شاء الله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي إذا تكرر الإفساد لأكثر من مرتين وإن عدتم عدنا وتكررت نفس النهاية لكم .

هذا النص الديني الذي شكل الوجدان والرؤية الإسلامية يحتم على المسلمين والعرب بالتالي التمسك بتحرير كامل التراب الفلسطيني (القدس وما حولها) وأنها والعلو والإفساد الإسرائيلي ، وأن هذه هي مسئولية المسلمين جميعاً بجميع طوائفهم ومذاهبهم بل وأجيالهم المختلفة وبالتالي فإن المسعى الدبلوماسي نحو ما يسمى بعملية السلام برمتها مسعى غير شرعي ، واقتصار المطالب العربية الحكومية أو مطالب السلطات الفلسطينية على مجرد التمسك بالقدس الشرقية دون القدس الغربية هو أمر غير شرعي أولاً ، ولا يحق لهم ثانياً لأن هذا حق كل العرب والمسلمين حكاماً ومحكومين ، وأيضاً حق الأجيال الإسلامية القادمة .

في مقابل ذلك فإن إسرائيل تسعى إلى طمس معالم هوية القدس بل وفلسطين كلها، وتتمسك بأن القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل وتسعى أيضاً إلى وضع حقائق على الأرض تجعل هذا الأمر أمراً واقعاً .

ويأتي الاستيطان على رأس التكتيكات الصهيونية في هذا الصدد – كذلك الهجرة ثم طرد العرب وطمس معالم الهوية العربية للمدينة وغيرها من الأساليب الصهيونية لفرض أمر واقع .

ويمكننا أن نقارن بين عدد اليهود إبان الحكم العثماني في القدس ، أي قبل بداية

الاستعمار الأوروبي الذي مكن لهم في القدس وغيرها عن طريق الهجرة وبين عددهم الآن لنرى مدى نجاح ذلك المخطط فقد كان عدد اليهود في القدس إبان الحكم العثماني ٣٠٠ عائلة يهودية فقط ثم قفز إلى ٣٠٠٠ آلاف يهودي عام ١٨١٩ ثم إلى ٢٠ ألف يهودي عام ١٨٩٠ من أصل ٤٥ ألف من السكان، ووصل سنة ١٩٤٧ إلى ١٠٠ ألف يهودي مقابل ٦٥ ألف عربي، ثم أصبح العدد الآن ٢٠٠ ألف يهودي في مقابل ١٥٠ ألف عربي، وتسعى إسرائيل إلى زيادة عدد اليهود في القدس عام ٢٠١٠ إلى ٧٥٠ ألف يهودي في إطار مخطط القدس اليهودية الكبرى.

ومن الناحية السياسية فإن إسرائيل استطاعت أن تسيطر على القدس الغربية بعد حرب ١٩٤٨ أي حوالي ٨٠ ٪ من مساحة مدينة القدس وفي أعقاب ذلك صدر قرار إسرائيلي بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٥٠ باعتبار هذا الجزء عاصمة لإسرائيل وتم نقل الكنيست إليه، وفي عام ١٩٦٧ تم احتلال باقي المدينة أي القدس الشرقية التي تضم المقدسات الإسلامية والمسيحية، وأصدرت إسرائيل قراراً بتوحيد القدس ٢٨/٦/١٩٦٧، ثم صدر قرار باعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل وتم الضغط على الحكومات في مختلف بلاد العالم لنقل سفاراتها إلى القدس وقد تمسكت إسرائيل في مفاوضات السلام بهذه النقطة ولم تقبل أبداً مناقشتها، فهي إما تتمسك بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، أو تؤجل الحديث عن مستقبل القدس في ظل السلام إلى المرحلة النهائية وفي الحقيقة فإن مسألة القدس كانت من المسائل التي لا يختلف عليها مختلف الأحزاب والقوى السياسية والحكومات المتعاقبة في إسرائيل، فسواء كان العمل أو الليكود هو الذي يحكم فإن الموقف لم يتغير وفي الواقع فإن إسرائيل تسعى للسيطرة الكاملة على فلسطين كلها من خلال الزحف بالمستوطنات لتحقيق أكبر قدر من السيطرة والأمن في نفس الوقت، وتحويل الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة إلى مجرد جزر منفصلة تحت السيطرة على طريقة جنوب إفريقيا، وقد استطاعت إسرائيل أن تبني حتى عام ١٩٩٥ حوالي ٢١٠ مستوطنة تضم ٣٠٠ ألف مستوطن في الضفة وغزة والجولان.

وفي إطار الاستيطان الصهيوني، حظيت القدس بالنصيب الأكبر والأهم، بحيث

يصبح من المستحيل تقسيم القدس أو عودتها إلى العرب وبالتالي تصبح عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل ، فبدأت إسرائيل تقيم المستوطنات في القدس بحيث تغرق الوجود العربي فيها في بحر من اليهود وتقطع كل صلة لهم بما حولهم من العرب الفلسطينيين وتقوم إسرائيل بمنع العرب من البناء لأسباب مختلفة ومختلقة ، كما تسعى لطردهم ، ومنع عودة من غاب منهم ، وتصادر الأراضي باستمرار بحجج مختلفة ، كما تقوم إسرائيل بمحاولة طمس معالم المدينة الإسلامية عن طريق هدم الآثار الإسلامية بحجج مختلفة والتخطيط لهدم المسجد الأقصى بحفر أنفاق تحته تؤدي إلى سقوطه في النهاية كما أنها أوعزت إلى بعض المتطرفين بإحراق المسجد الأقصى عدة مرات تحت ذريعة أنهم مجانين !

وتفعل إسرائيل نفس الشيء مع الآثار المسيحية في المدينة ثم تقوم بتغيير بعض المعالم الأثرية للمدينة ثم ادعاء أنها آثار يهودية .

وتسعى إسرائيل في النهاية إلى إقامة ما يسمى مشروع القدس الكبرى لتوسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد إلى رام الله شمالاً وإلى بيت لحم جنوباً ، بحيث يكون عدد اليهود في هذا المشروع حوالي ٧٥٠ ألف نسمة في القدس الكبرى !